

الجولاني في اطلالته "المحتجبة"

2015-05-31 عريب الرنتاوي

أطل "الفتاح" أبو محمد الجولاني علينا من على شاشة "الجزيرة"، ولم يطل... رأينا شبحاً محتجباً عن الكاميرا وعيون الناس والفضوليين، بصورة لا تليق برجل يقود جيشاً للفتح، ويقدم نفسه بلقبه الأشهر "الفتاح"، ويتوعد بتحرير دمشق وتحكيم شرع الله، من دون أن يتردد في التقرير بشأن مستقبل السوريين من مختلف الطوائف، وصولاً إلى لبنان وضاحتها الجنوبية... كان يتعين على الجولاني أن يقرر مسبقاً، ما إذا كان سيظهر بملء الصوت والصورة كما فعل غريمه أبو بكر البغدادي في الموصول، أو أن يبقى على عادته بتسريب التسجيلات الصوتية التي يخاطب بها أنصاره عبر الأثير والانترنت... في لحظة فارقة معينة، تسقط اعتبارات الأمن الشخصي، وتتقدم عليها ضرورات الزعامة ومقتضياتها، البغدادي أدرك المسألة، أما الجولاني فقد أخفق في ذلك.

الملاحظة الثانية، أن الرجل بدا غير كارزمي على الإطلاق... حركة جسده المضطربة، ويديه الصغيرتين و"الناعمتين"، قميصه "الكاروهات"، نبرات صوته، لغته ومفرداته، لم تنجح جميعها في تقديم صورة "القائد/الفتاح" أو الزعيم أو الأمير... ودائماً بالمقارنة مع غريمه في "داعش"، بدت الطلة الأولى للبغدادي مدروسة أكثر، وذات تأثير أعلى من طلة الجولاني.

البغدادي، كشف عن وجهه، وتوجه إلى منبر مسجد في الموصل "المحررة" ليعلن عن الخلافة، مستعيداً بعض الصور من إرث العباسيين... الجولاني آثر الظهور عبر قناة الجزيرة القطرية... واختار مكتب محافظ إدلب الفاخر، ويقال إنه جلس على مقعده... صورتان مختلفتان، الأولى لـ "مجاهد" ينشد الخلافة، والثاني، لرجل تورط في لعبة المحاور وصراعاتها، فبدأ مقترباً من محور قطري - تركي - سعودي، في حين لم يألُ غريمه جهداً في الهجوم على الحكام الطغاة، وتقديم تنظيمه كمشروع بديل لأنظمة الفساد والردة جميعها.

المقابلة بحد ذاتها، تدرج في سياق ممتد، هدفه إعادة تأهيل النصر، ودمجها في "المعارضة السورية المعتدلة"... سياق شقته قطر وتركيا والتحقت به السعودية في الأشهر الأخيرة بنشاط...

بدأ بمحاولة فصل النصر عن القاعدة، وانتهى على ما يبدو بقبول "عضوية" النصر في القاعدة، طالما أنها تقدم خطاباً متميزاً عن خطاب داعش، وبالأخص ممارساتها... المقابلة بدت معدة سلفاً، وبإشراف "غرفة عمليات أمنية سياسية"، وليس "غرفة الأخبار أو التحرير"، حفلت بالكثير من "التلميح" و"الترويج" و"التبخير"... بدا الرجل بنتيجتها "مبشراً" و "واعظاً"، وليس "مجاهداً" قارف ما قارف من أعمال وحشية ضد خصومه وحلفائه على حد سواء.... المقابلة عمل سياسي أمني بامتياز، في ترتيباته وأهدافه وسياقه ومحتواه.

هل قلنا خطاب متميز للنصرة عن داعش؟

هكذا يراد تصوير المسألة، حتى أن الاختزالات المُخَلَّة التي عممتها الوكالات عن المقابلة، ذكرتنا بخطبة "الفتح العظيم": "ماذا تظنون أنني فاعلٌ بكم"... مع أن الرجل لم يتخل جوهرياً عن أي مواقف العقائدية الأساسية، وإن كان سعى في تدوير بعض زواياها الحادة، خصوصاً حين يتعلق الأمر بالأقليات... والأهم من كل هذا وذاك، أن تجربة "الجهاد العالمي" برهنت المرة تلو الأخرى، أنك لا تستطيع أن تثق بهؤلاء الذين كانوا أشد بأساً في حروبهم على بعضهم البعض، من أفغانستان وحتى سوريا، دع عنك انقلاباتهم المنهجية والمستمرة على حلفاء الأمس، أعداء اليوم.

لكن مع ذلك، دعونا نرى ما الذي قاله الجولاني، وتحديدًا بخصوص الأقليات... النصر ليست في حرب مع المسيحيين... المسيحيون غير المحاربين سيأمنون في ظلال دولة الشريعة، لكن شريطة دفع الجزية، أما فقراءهم فلا يدفعون... البغدادي عرض "تخفيضات" في قيمة الجزية على فقراء المسيحيين... العلويون أيضاً سيكونون آمنين على أنفسهم، شريطة ألا يحملوا السلاح، حتى هنا الأمر يبدو منطقياً، لكن جملة قالها الجولاني لم تستوقف أحداً، عندما اشترط "إسلامهم" لضمان سلامتهم... ألم يعرض البغدادي "الشهادتين" على الأزيديين لحفظ أموالهم وأرواحهم وأعراضهم?... أين التميز في مواقف الرجلين.

ظهور الجولاني بالطريقة التي أطل بها، أمر لا يندرج في إطار حرية الصحافة والإعلام، وضغوط "المهنية" التي تملي مطاردة السبق الصحفي... إطلالة الجولاني عمل سياسي - أمني بامتياز، يندرج في سياق مشروع سياسي إقليمي لسوريا، جوهره إعادة تأهيل النصر وإخراجها من قوائم الإرهاب

السوداء، وتأمين الدعم المالي والعسكري والسياسي لها بوصفها "العمود الفقري للمعارضة المعتدلة"... في ظروف أخرى، فإن إطلالة الجولاني بالطريقة التي جاءت عليها، تستوجب معالجة بموجب قوانين محاربة الإرهاب وقرارات مجلس الأمن الدولي المأخوذة تحت الفصل السابع... مع ذلك، وبرغم ذلك، يسألونك عن الدول الراعية للإرهاب!؟

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية